استعادة

أنطوان دحداح في العيد 75 للأمن العام يروي أحداثًا وبعض أحاديث المرحلة

في العيد الخامس والسبعين للامن العام، شاء المدير العام السابق السفير العقيد انطوان دحداح الذي شغل المنصب ما بين عامي 1971 و1977، ان يدوّن لـ"الامن العام" بعض ذكريات المرحلة تلك، ابان وجوده على رأس المديرية

في التسعين من العمر اشعر بالابتهاج هذه السنة ايضا في مناسبة عيد الامن العام، وما زلت اقوم بنشاط ثقافي على اساس تأليف كتاب قواعد عربية كل سنتين حفاظا على تصنيفي في خانة "العاقل" الذي تنطبق عليه خصائص اسم الفاعل واسم المفعول. ارى ان الامن العام لا يزال القلعة الصامدة بقيادة اللواء عباس ابراهيم، في بحر الويلات الحالية التي يتعرض لها لبنان والتي تحرق الاخضر واليابس. فهنيئا له ولضباطه وافراد هذه المؤسسة الشريفة كافة.

مع انني جئت الى الامن العام من طريق الجيش، لم اكن مهيئا لمهمات المدير العام.

طلبت من الرئيس سائب سلام بصفته وزير الداخلية الاستعانة ببعض الضباط من الجيش، فاجاب: كلا مطلقا، نحن اخرجنا المكتب الثاني من الباب الواسع وانت تريد اعادته من الشباك؟ يمكنك فقط اختيار ضابطين من قوى الامن الداخلي.

هكذا قمت بتأليف نواة اركان (او ديوان) من ستة اشخاص، مهندسين جغرافيين، موظفين جامعيين وضابطين من قوى الامن. فتعلّمنا المهنة معا على النار الساخنة في ادارة لم نكن نعرف اين تبدأ واين تنتهي.

مع مرور الزمن اشعر بأنني صرت جزءا لا يتجزأ من الامن العام، بالرغم من تتابع السنين وتغير العقليات. سبق ان قلت واكرر ان الامن العام اصبح مؤسسة محترمة تتطور مع الاحداث سنة بعد سنة وتوحي بالثقة الى قلوب اللبنانيين، وهنا يكمن البيت القصيد. ثقة المواطنين هي اهم ثروة يتحلى بها الانسان اكان موظفا ام رئيسا مسؤولا كبيرا. كما يقولون ان سلطة الشعب هي أم السلطات، كذلك ثقة الشعب هي أم الانتاج.

في خضم الضجة الكبيرة التي نسمعها اليوم حول محاربة الفساد وتأليف اللجان وتحضير التدابير اللازمة الخ... اؤكد ان افضل وسيلة للخلاص من الفساد بسرعة تنحصر في تعيين خمسة او ستة مدراء عامين يتمتعون بالثقة التامة من السلطة التنفيذية ليقوموا بشقلبة الادارة اللبنانية ووضعها بلمح البصر على سكة العمل الصالح والتطور المستمر... تمثلوا بالامن العام! متى ما نظفت الادارة وقامت بشغلها على احسن وجه، ترون القطاع الخاص ينظر بكل احترام في اجهزة الدولة اكانت ادارية او ثقافية او امنية، وترون كذلك المنظمات الدولية تقدر الجهد المبذول في بلد صغير مع ما يرافق ذلك من رغبة في التعاون والاشتراك في المشاريع المفيدة.

اول مفاجأة واجهتني في اثناء ممارسة عملي حصلت في مناسبة حادث امني وقع بين مسلحين وافراد من قوى الامن في مخفر النهر ليل رأس السنة من عام 1972. علمنا ان المسلحين يتبعون احدى المنظمات التي ترعاها سوريا، فقال لي الرئيس سلام: اذهب الى دمشق واطلب تسليم المسلحين الاربعة الذين سببوا الحادث.

قلت له: من هي الشخصية التي تريد ان اواجهها هناك؟

قال: في دمشق دولة انقلابية لا نعرف منهم احدا. عليك ان تعرف من وكيف، ودبّر حالك. ما عندي اكثر من ذلك، انما اعرف انك رجل حبّوب وسوف ترى انهم سيستقبلونك بحفاوة.

صباح اليوم التالي تذكرت ان ضابطا من الشرطة السورية مر علي يوما وطلب مساعدة في المطار، وترك لي اسمه ورقم الهاتف. اتصلت به وطلبت مقابلة قائد الشرطة السورية. وهكذا وجدت نفسي في دمشق في مكتب العميد علي ظاظا وزير الداخلية. بالاضافة الى انه ضابط جيش كان في مدرسة الاركان الاميركية قبل سنة من وجودي هناك.

على اثر هذا الحديث انكسر الجليد بيننا وصرنا نتذكر القواسم المشتركة التي عشناها في مدرسة الاركان. ثم قال لي: اذا اردت ان تبني علاقات جيدة معنا، عليك ان تزور العقيد حكمت الشهابي وهو الرجل القوي بعد الرئيس الاسد.

قلت له: انا جئت لهذه الغاية.

اتصل بالعقيد الشهابي الذي اجابه: انا في انتظاره في مكتبي في وزارة الدفاع.

هكذا ايضا واجهت حكمت الشهابي رئيس مخابرات الجيش السوري في مكتبه. تيسرت الامور بيننا من اول لحظة، وتناولنا الغداء في مطعم الشرق ووعدني بتسليم المسلحين قبل وصولي الى بيروت.

على مائدة الطعام تنطلق الالسنة.

قال لي: علمت انك جئت الى الامن العام من خارج جماعة المخابرات. انا أيضا جئت الى المخابرات بسحر ساحر. كنت ادرس علم الاحوال الجوية في الولايات المتحدة على حساب الجيش السوري الذي كان في حاجة الى ضباط اختصاصيين لادارة المطارات العسكرية. حصلت القطيعة بين سوريا واميركا وأمر الرئيس بسحب السوريين من المدارس الاميركية. مع انني كنت في السنة الثالثة من الجامعة، عدت الى دمشق وانتظرت الاوامر. في هذه الاثناء طلبت القيادة السورية من السفارة الروسية درس امكان ارسال الطلبة العسكريين الى روسيا لمتابعة اختصاصاتهم. فاستجابت السفارة الروسية فورا وطلبت لائحة بأسماء الضباط واختصاصاتهم، ما جعل اسمي يرد مقابل اختصاص: مخابرات جوية. وجدت نفسي في روسيا في مدرسة السلاح الجوي فرع المخابرات. التقيت هناك بضابط سوري شاب اسمه حافظ الاسد يتعلم الطيران، فشكوت اليه امري وقلت له انني سأرفع تقريرا الى سفارتنا في موسكو واشرح لها كل ملابسات هذه القضية.

قال لي: انصحك ان لا تعمل شيئا، لأن تقريرك سوف يضيع بين المترجمين في البلدين وتنتهي عائدا الى دمشق من دون اية نتيجة. خليك هون وادخل في هذا الاختصاص الجديد وانت قد الحملة. هكذا تدرجت في مخابرات السلاح الجوي وبنيت صحبة قوية مع الضابط الشاب الذي اعطاني هذه النصيحة. فانتقلنا من المخابرات الروسية الى مخابرات سلاح الجو السوري، الى المخابرات في وزارة الدفاع في دمشق الى الإنقلاب في رئاسة الجمهورية السورية.

انتهت مهمتي وعدت الى بيروت. تقدمت من الرئيس سلام صباح اليوم التالي ووضعته في صورة كل ما جرى. قال لي: انا عارف انهم بدهم يحبوك ويتعاملوا معك بثقة متبادلة. اريدك ان تبني علاقة متينة معهم وان تقوم بمثل هذه الزيارات بشكل مستمر.

بما ان المسؤولين السوريين لا يخرجون من بلدهم، كنت اذهب مرة في الشهر تقريبا لزيارة حكمت الشهابي للتباحث معه حول الامور العالقة.

قال لي يوما: عندي زيارة قصيرة الى طرطوس، هل تأتي معي نتناول الغداء هناك واقوم خلاله بزيارتي القصيرة ونعود من هناك الى دمشق. لدينا الكثير نتكلم عنه في الطريق. من حديثنا، علمت ان الرئيس الاسد عقد اتفاقا مع الاتحاد السوفياتي لتكون طرطوس قاعدة بحرية تملكها البحرية الروسية. كانوا ينقلون العمال من روسيا الى طرطوس، ويستبدلونهم مرة كل شهر من دون اللجوء الى استخدام اي عامل سوري. بهذا الاتفاق أمّن الرئيس الاسد حماية دولية دائمة لنظامه السياسي.

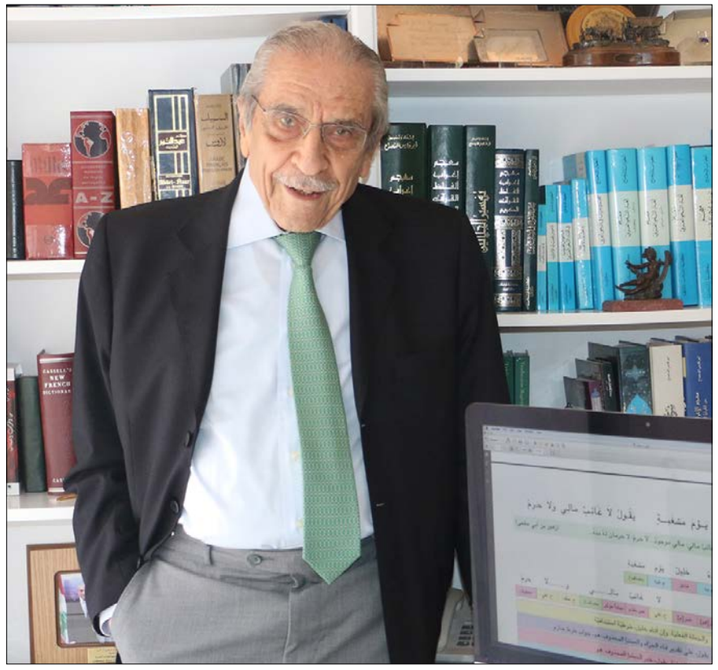

المدير العام السابق للامن العام السفير العقيد انطوان دحداح.

> **الامن العام لا يزال القلعة الصامدة بقيادة اللواء عباس ابراهيم في بحر الويلات الحالية**

اما اليوم، فعلمنا بواسطة الصحافة ان قاعدة طرطوس هي قاعدة للغواصات النووية، اي من المحتمل ان تحتوي في مخازنها على صواريخ نووية بحرية. وقد تدل هذه المعلومات على مدى تعلق البلدين باتفاقهما، واستطرادا بعلاقاتهما السياسية.

نعود الآن الى السياسة اللبنانية في عهد الرئيس سليمان فرنجيه الذي كان ايضا في نظري عهد الرئيس سلام للاسباب الآتية:

اولا كانت تربط بين الرئيسين صداقة عميقة عمرها اربعون عاما.

ثانيا لولا الرئيس سلام لما وصل الرئيس فرنجيه الى سدة الرئاسة، فالرئيس سلام شجعه وأمّن له تغطية اسلامية كبيرة ثم قام بإقناع القيادات الاخرى التي كانت مناوئة لعهد المكتب الثاني ان تتوحد حول سليمان فرنجيه. لما نجح هذا الاخير اعتبر صائب سلام ان عهده قد بدأ اخيرا. بالفعل عشنا شهر عسل سياسي خلال ثلاث سنوات ثم وقعت الواقعة. على اثر العملية الاسرائيلية في قلب بيروت واستشهاد بعض القادة الفلسطينيين، طلب صائب سلام استقالة قائد الجيش فرفض سليمان فرنجيه، فوقع الخلاف واستقال صائب سلام وذهب الى منزله. في القصر الجمهوري انقسمت الآراء وبدا سليمان بك يميل الى قبول الاستقالة. انفردت به في مكتبه وقلت له كما كنت اتكلم معه دائما بجرأة وصراحة: لا يمكنك قبول الاستقالة لأن عهدك في حاجة ماسة الى وجوده الى جانبك. نحن قادمون على مشاكل كبيرة مع ياسر عرفات ولا استبعد الاشتباكات المسلحة بيننا. حضرت اجتماعا في مكتب الرئيس سلام مع ياسر عرفات. خاطبه الرئيس سلام بلهجة لا يجرؤ اي رئيس عربي آخر على استعمالها. سمعته يقول بعد حادثة خطف عسكريين: اذا تكررت هذه العملية سوف استعمل الطيران لضرب المخيمات على رأسكم. انسحب ياسر عرفات وقضي الامر. قال لي صائب بك آنذاك: طبعا هذا كلام للتهديد، ولكن شعرت انه خائف. فنحن من دون صائب سلام لا يمكننا التكلم بهذه اللهجة ولا استعمال هذا الاسلوب. اقترح رفض الاستقالة واعلان ما لا سابقة له: نحن وصائب سلام جئنا معا ونذهب معا. ◄

◄ قال الرئيس فرنجيه: قررت قبول الاستقالة والمستقبل ليس بعيدا.

في سماء السياسة اللبنانية لمع نجم اسمه الامام موسى الصدر. مند اول زيارة له في مكتبه شاهدت الانسان الدي اعطاه الله كل شيء، عقليا وجسديا. اعجبت به وتواصل التيار بيننا فورا. كنت اشعر بأنني أواجه شخصية انسانية من النوع الثقيل بالاضافة إلى انه جذاب، قامة توحي بالاحترام وطلة توحي بالتعاطف. يتكلم عن مواضيع الحياة بلغات مختلفة غير العربية والفارسية، وبأفكار عميقة. بعيدا من السياسة دخلنا في احاديث مفيدة عن الحياة في لبنان في مقابل الحياة في ايران، وكان يخبرني عن مدرسة قم التي تعتبر مركز الحوزة الدينية الشيعية ومعقل علمائها في البلاد. كان يتكلم ايضا عن برنامج التعليم فيها الذي لا يزال بأقصى القساوة في التربية البدنية واقصى الصرامة في المواد الثقافية والعلمية.

قال لي: نحن هنا، اي المتخرجين من هذه المدرسة، اربعة لا غير. الطلاب اللبنانيون يدخلون بعدد كبير لا يقل عن عشرين كل سنة، ولا يتخرج بعد ست سنوات اكثر من طالب واحد او اثنين. الحياة قاسية واللبنانيون يتشتتون ويتركون او

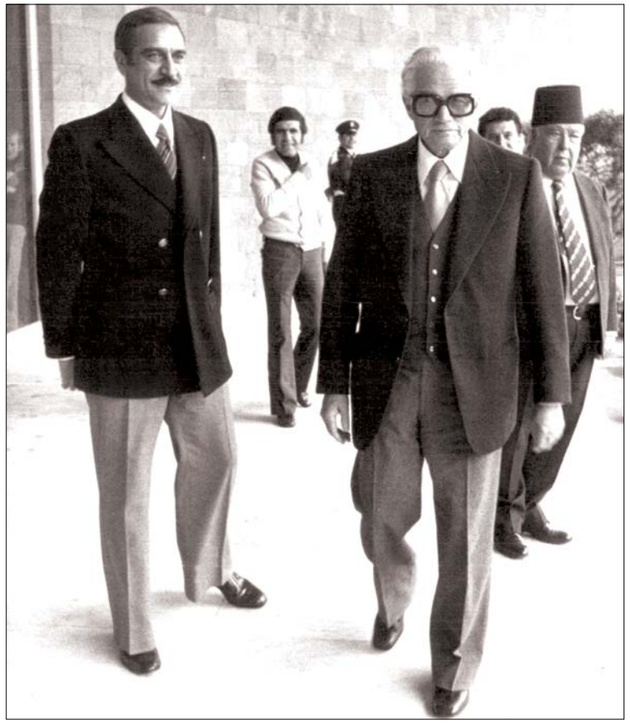

مع وزير الداخلية الرئيس كميل شمعون.

مع ضباط المديرية العامة للامن العام ابان ولايته.

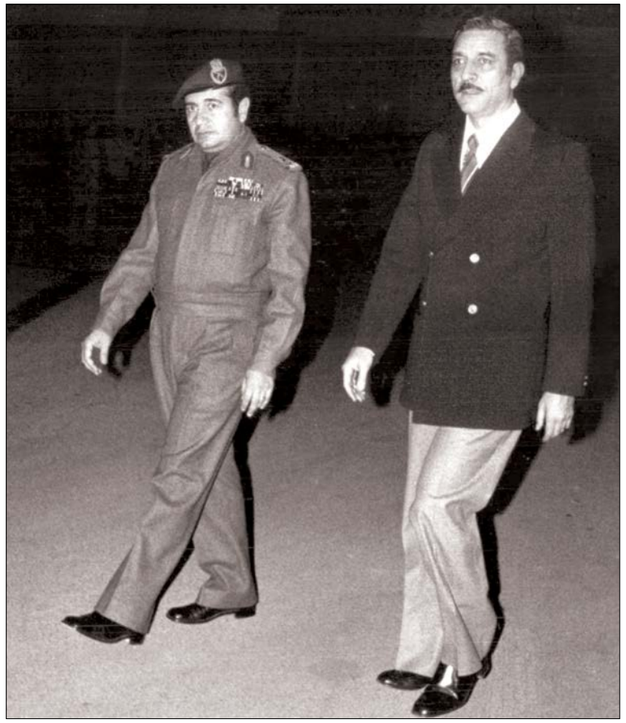

مع رئيس الاركان السوري العماد حكمت الشهابي.

يتخلون عن متابعة الدراسة بعد السنة الاولى او الثانية.

في اثناء هذه الزيارات كنت ارى كم هو متواضع في منزله ومكتبه بعيدا من الفخفخة والاشياء البراقة. حدث ذات يوم انني كنت اشعر في اثناء الحديث معه بقرص الحشرات في الرجلين، وكان ذلك طبيعيا في منطقة الحازمية.

سألته لماذا لا يستعمل المبيدات او الوسائل الاخرى لإبعاد الحشرات.

اجاب انه تعوّد على هذه الحالة ولا يستعمل شيئاً لتغيير الوضع سوى الكاتول الصيني المعروف.

قلت له: سأعود غدا واهديك آلة صغيرة تغنيك عن كل المبيدات.

جئت اليه في اليوم التالي، وقدمت له علبة صغيرة تحتوي على آلة تبث موجات "ما بعد السمعي" تطرد كل الحشرات الموجودة في الغرفة. اخذ الآلة وقال لي: انظر الى هذه الفراشة التي كانت تحوم في الغرفة، ان هربت تكون هديتك فعالة وإن بقيت تكون هديتك من جملة الاكاذيب اللبنانية.

وضع يده على زر التشغيل، واذ بالفراشة تضطرب وتهرب من اول شباك مفتوح امامها.

قلت له: انا لن اكذب عليك ابدا.

في السنة الثالثة من عهد الرئيس فرنجيه حصل حدث مهم بالنسبة الى المجلس الشيعي الاعلى، وهو موعد انتخاب رئيس المجلس والهيئات المحيطة به. اعلن الامام موسى الصدر الذي

"تنقلت بين صبري حمادة وكامل الاسعد فانتهى الخلاف على انتخاب الامام موسى الصدر رئيساً مدى الحياة للمجلس الشيعي"

كان المرشح الوحيد لهذا المنصب انه يرغب في ان تكون الانتخابات مدى الحياة. هذا الاعلان ازعج فورا الرئيس كامل الاسعد وتبعه في البداية الرئيس صبري حماده. ثم تريث الرئيس حماده وحاول اقناع الرئيس الاسعد بعدم جدوى معارضة الامام لأنه حاصل على اكثرية ساحقة منذ الآن. قرر الرئيسان الاحتكام الى الرئيس فرنجيه قبل الدخول في معارك غير مجدية. كان ذلك يوم خميس السكارى عند الموارنة، والرئيس فرنجيه في زغرتا اصيب بنوبة مرارة جعلته يرتاح ويمتنع عن الرد على الهاتف.

تلقيت مكالمة من الرئيس حمادة وقال لي: نحن مع الرئيس الاسعد على وشك ان نقرر موقفا مهما بالنسبة الى انتخابات المجلس الشيعي. بما ان من المستحيل الاتصال بالرئيس فرنجيه نريدك ان تحضر عندنا وتنقل اليه ما جرى ويجري من الاحداث.

انتقلت فورا الى منزل الرئيس حمادة على طريق المطار، ووجدت الرئيس الاسعد عنده، وبدأت المحادثات بينهما في حضوري. ثم تناولنا الغداء واقتنع الرئيس الاسعد بوجهة نظر الرئيس حماده ان يحضرا الإنتخابات، ويوافقا على انتخاب الامام موسى الصدر رئيسا مدى الحياة. بقي الاتفاق على اعضاء لجنة رجال الدين وهي مؤلفة من 12 شيخا.

انتقلنا بعد ذلك الى منزل الرئيس الاسعد في الحازمية، لأنه اقرب الى مركز المجلس حيث الامام موسى الصدر، فأقوم انا بالانتقال بينهما لوضع لائحة رجال الدين الذين كانوا جميعا من طرف الرئيس الاسعد. تناولنا العشاء وبدأت بالنسبة الي رحلة الألف ميل.

من التاسعة مساء حتى الساعة الثانية صباحا، انتقلت على الاقل ست مرات حاملا لائحة من هنا او تصحيحا من هناك. في النهاية تم الاتفاق على ان يحصل رجال الدين التابعين للاسعد على ثمانية مقاعد والباقي اي اربعة مقاعد للامام الصدر. بذلك يكون الاتفاق قد حصل على موافقة الطرفين ما سمح للجميع الحضور نهار الاحد التالي للمشاركة في انتخاب الامام موسى الصدر رئيسا للمجلس الشيعي الاعلى مدى الحياة.

هنا تنتهي صفحة من خدمتنا في الامن العام. مبروك العيد على الجميع والى اللقاء ان شاء الله.